

البداية والنهاية

حسبه أو ذي دين يسوس به دينه أو مختلط بسلطان يتحفه بنعمه ويتخلص منه بالعلم فلا يقع في هلكه وقال ولا أعلم أحدا اشترطه لهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في الليل وكان أيام الرطب يئلم حائطة للناس فيدخلون ويأكلون فإذا ذهب الرطب أعاده وقال الزهري كان عروة بحرا لا ينزف ولا تكدره الدلاء وقال عمر بن عبد العزيز ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئا أجهلهم وقد ذكره غير واحد في فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهي إلى قولهم وكان من جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة [وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها فعرضوا عليه أن يشرب شيئا يغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها فقال ما ظننت أن أحدا يؤمن بالله يشرب شيئا يغيب عقله حتى لا يعرف ربه D ولكن هلموا فاقطعوها فقطعوها من ركبتة وهو صامت لا يتكلم ولا يعرف أنه أن وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة فـ أعلم ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله ولد له يسمى محمدا كان أحب أولاده من سطح فمات فدخلوا عليه فعزوه فيه فقال اللهم لك الحمد كانوا سبعة فأخذت واحدا وأبقيت ستة وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة فلئن كنت قد أخذت فلقد أعطيت ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت [قلت قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجها إلى دمشق ليجتمع بالوليد وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة وكان مبدؤها هناك فظن أنها لا يكون منها ما كان فذهب في وجهه ذلك فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه وربما ترقى إلى الجسد فأكلته فطابت نفسه بنشرها وقالوا له ألا نسقيك مرقدا حتى يذهب عقلك منه فلا تحس الألم النشر فقال لا وإني ما كنت أظن أن أحدا يشرب شرابا أو يأكل شيئا يذهب عقله ولكن إن كنتم لا بد فاعلن فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة إني لا أحس بذلك ولا أشعر به قال فنشروا رجله من فوق الأكلة من المكان الحي احتياطا أنه لا يبقى منها شيء وهو قائم يصلي فما تصور ولا اختلج فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله فقال اللهم لك الحمد كان لي أطراف أربعة فأخذت واحدا فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت وإن كنت قد أبليت فلطالما عافيت فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت قال وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد وكان أحبهم إليه فدخل دار الدواب ففرسته فرس فمات فأتوه فعروه فيه فقال الحمد إ كانوا سبعة فأخذت منهم واحدا

وأبقيت ستة فلئن كنت قد ابتليت فلطالما